صنع السلام

المحاضرة الثانية

إن صنع السلام في المقام الأول هو مسألة شخصية، فعندما تعامل المسيح مع القضايا الرئيسية، بدأ التركيز على قلب الإنسان أي ما كان الموقف، سواء متعلقة بالظلم، أو المساواة الاجتماعية، أو الضرائب، أو العلاقات .. إلخ. اهتم المسيح بعلاج الأمر الجوهري وهو قلب الإنسان. ويمكن ملاحظة هذا الأمر من خلال هذه المواقف مثل الأمم الذين ذبحهم بيلاطس/ إن لم تتوبوا، (لو13: 1-5)، ودفع الضرائب للقيصر/ أعطوا ما لله لله، (مت22: 15-21)، وتقسيم الميراث/ انظروا وتحفظوا من الطمع، (لو12: 13-15).

الأمم الذين ذبحهم بيلاطس/ إن لم تتوبوا

في لو13: 1-5 يقول *"وَكَانَ حَاضِرًا .. قَوْمٌ يُخْبِرُونَهُ عَنِ الْجَلِيلِيِّينَ الَّذِينَ خَلَطَ بِيلاَطُسُ دَمَهُمْ بِذَبَائِحِهِمْ. فَأَجَابَ يَسُوعُ .. أَتَظُنُّونَ أَنَّ هؤُلاَءِ الْجَلِيلِيِّينَ كَانُوا خُطَاةً أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ الْجَلِيلِيِّينَ لأَنَّهُمْ كَابَدُوا مِثْلَ هذَا؟ كَلاَّ! أَقُولُ لَكُمْ، بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذلِكَ تَهْلِكُونَ. أَوْ أُولئِكَ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ الَّذِينَ سَقَطَ عَلَيْهِمُ الْبُرْجُ فِي سِلْوَامَ وَقَتَلَهُمْ، أَتَظُنُّونَ أَنَّ هؤُلاَءِ كَانُوا مُذْنِبِينَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ السَّاكِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ؟ كَلاَّ! أَقُولُ لَكُمْ: بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذلِكَ تَهْلِكُونَ"*.

تكلم الناس مع يسوع المسيح عن بيلاطس، فماذا فعل بيلاطس؟ قتل أناس وأخذ دمائهم وخلطها بدماء ذبائحهم، فهم جاءوا يشتكون ليسوع عن ما فعله بيلاطس لكي يسمعوا ماذا يقول المسيح في هذا العمل الشنيع من وجهة نظرهم، لأن هذا معناه بالنسبة لهم أنهم ضحوا بأنفسهم وليس بالذبائح التي قدموها. لكن المسيح بحكمته حول الموضوع لمسألة شخصية، وقال لهم هناك أمور كثيرة تحدث في العالم ولا يمكن أن نتحكم فيها، يمكن أن نقلق من أمور بعينها، ونلوم أنفسنا أو الآخرين، ونتذمر ونتمرد على أي شيء في الحياة.

لكن يسوع المسيح كان قلقًا بخصوص القلب، ويقول لا تنشغلوا بالأمور الأخرى. وهو يقول هذا، لم يتغاضى عن الذي فعله بيلاطس بالذبائح، لكنه حول دفة الحوار وقال لهم الشيء الهام هو القلب والتوبة، فلو لم تتب فلن يكون هناك سلام في القلب، وبالتالي سيكون القلق هو المظهر السائد. المسيح بدأ من هذه الحادثة الفظيعة وبدأ يتكلم عن السلام في قلوب الناس.

دفع الضرائب للقيصر/ أعطوا ما لله لله

في متى 22: 15-21يقول *"حِينَئِذٍ ذَهَبَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَتَشَاوَرُوا لِكَيْ يَصْطَادُوهُ بِكَلِمَةٍ. فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ تَلاَمِيذَهُمْ مَعَ الْهِيرُودُسِيِّينَ قَائِلِينَ، يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَتُعَلِّمُ طَرِيقَ اللهِ بِالْحَقِّ، وَلاَ تُبَالِي بِأَحَدٍ، لأَنَّكَ لاَ تَنْظُرُ إِلَى وُجُوهِ النَّاسِ. فَقُلْ لَنَا: مَاذَا تَظُنُّ؟ أَيَجُوزُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ أَمْ لاَ؟ فَعَلِمَ يَسُوعُ خُبْثَهُمْ وَقَالَ، لِمَاذَا تُجَرِّبُونَنِي يَا مُرَاؤُونَ؟ أَرُونِي مُعَامَلَةَ الْجِزْيَةِ. فَقَدَّمُوا لَهُ دِينَارًا. فَقَالَ لَهُمْ، لِمَنْ هذِهِ الصُّورَةُ وَالْكِتَابَةُ؟ قَالُوا لَهُ، لِقَيْصَرَ. فَقَالَ لَهُمْ، أَعْطُوا إِذًا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلهِ لِلهِ. فَلَمَّا سَمِعُوا تَعَجَّبُوا وَتَرَكُوهُ وَمَضَوْا."*

الفريسيون هنا يسألون المسيح بقصد الإيقاع به ، فهم يريدونه أن يسيء إلى القيصر ليوقعوا به. وهو لم يحاول الهرب من سؤالهم الخبيث، لكنه أجابهم: أعطوا ما لقيصر لقيصر، أمرهم بأن يؤدوا الواجبات المفروضة عليهم. لكنه في النهاية رجع وركز على القلب، أعطوا ما لله لله، ومرة أخرى يأخذ المسيح حدث هام أو موقف هام ويحوله إلى الكلام عن القلب.

تقسيم الميراث/ انظروا وتحفظوا من الطمع

في لو12: 13-15 يقول *"وَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْجَمْعِ، يَا مُعَلِّمُ، قُلْ لأَخِي أَنْ يُقَاسِمَنِي الْمِيرَاثَ. فَقَالَ لَهُ، يَاإِنْسَانُ، مَنْ أَقَامَنِي عَلَيْكُمَا قَاضِيًا أَوْ مُقَسِّمًا؟ وَقَالَ لَهُمُ، انْظُرُوا وَتَحَفَّظُوا مِنَ الطَّمَعِ، فَإِنَّهُ مَتَى كَانَ لأَحَدٍ كَثِيرٌ فَلَيْسَتْ حَيَاتُهُ مِنْ أَمْوَالِهِ." عندما تأتي للرب بشكوى من ظلم أخيك الذي لا يريد أن يقاسمك الميراث، سيحول الأمر إلي تحذير لضميرك، بالقول، أيها الإنسان من أقامنى قاضيًا عليكما، أو مقسّم بينكما؟ انتبه، تحفظ من كل أنواع الطمع لأن حياة الإنسان لا تتوقف علي وفرة ممتلكاته".*

موضوع النص هنا هو الميراث وهو موضوع كبير وذات أهمية في البلاد العربية وفي الدول الأخرى. المسيح لا يقول أن هذا موضوع غير هام، لكنه يقول أنه هام، لكن الأهم من هذا بكثير هو القلب. لأنه السبب الرئيسي الذي يدخلك في مشاكل عندما يتعلق الأمر بالميراث، وبالتالي لا يتحقق سلام في القلب بينك وبين الله أو بينك وبين نفسك أو بينك وبين الآخرين المشتركين معك في الميراث.

فقبل أن تصبح أحد صانعي السلام، يتعين عليك أن تفحص قلبك أولاً. لأنه كيف أكون صانعًا للسلام في قضايا كبرى إن لم أكن متمتعاً بتحقيق السلام مع عائلتي، أو جيراني. لا بد أن نبدأ بأنفسنا وبالعلاقات التي حولنا، وبعدها نتجه إلى دائرة أكبر على المستوى الاجتماعي، والسياسي، والذي فيه لا تنجح دائماً المبادئ المسيحية عند تطبيق المبادئ الكتابية مع غير المؤمنين. صنع السلام عملية صعبة للغاية، ولا بد لصانع السلام أن يتمتع بسلام في قلبه أولاً قبل أن يصنع سلام مع الآخرين.

أخرج أولاً القذى من عينيك

في **متى 7: 1-5** يقول "*لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا، لأَنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ، وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ. وَلِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلاَ تَفْطَنُ لَهَا؟ أَمْ كَيْفَ تَقُولُ لأَخِيكَ، دَعْنِي أُخْرِجِ الْقَذَى مِنْ عَيْنِكَ، وَهَا الْخَشَبَةُ فِي عَيْنِكَ؟ يَامُرَائِي، أَخْرِجْ أَوَّلاً الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ، وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّدًا أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ*!"

يجب أن يتحقق السلام على المستوى الشخصي قبل أن نقوم به مع الآخرين. فقبل أن تصنع السلام مع الآخرين أنت في حاجة لتحقيق السلام في قلبك أولاً، انظر لنفسك أولاً. ومرة أخرى نؤكد أن صانع السلام يجب أن يكون لديه سلام.

افحص نفسك أولاً

في رسالة غلاطية يقول "*أَيُّهَا الإِخْوَةُ، إِنِ انْسَبَقَ إِنْسَانٌ فَأُخِذَ فِي زَلَّةٍ مَا، فَأَصْلِحُوا أَنْتُمُ الرُّوحَانِيِّينَ مِثْلَ هذَا بِرُوحِ الْوَدَاعَةِ، نَاظِرًا إِلَى نَفْسِكَ لِئَلاَّ تُجَرَّبَ أَنْتَ أَيْضًا*". هناك الكثير من الأشياء الجيدة التي نرغبها في حياتنا مثل السعادة، والأصدقاء، وعلاقات أسرية جيدة، نجاح في العمل .. إلخ. وهذه الرغبات ليست سيئة بذاتها، وبالرغم من ذلك فأحيانًا هذه الرغبات الجيدة يمكن أن تصبح رغبات شريرة عندما أريدها، وأرغبها بشدة. فعندما أرغب في شيء بشدة فإنه يصبح مطلبًا ملحًا في حياتي، ومن ثم فأطلب من الآخرين أن يعطوا لي ما أريد.

وعندئذ تصبح هذه المطالب أوثانًا، لأنها أشياء أفكر أنني لو امتلكتها سأكون سعيدًا وراضيًا. ولا تقف هذه الرغبات عند الأشياء المادية فقط مثل المال أو المقتنيات التي نطلبها بإلحاح. يمكننا أن نطلب بإلحاح احترام الآخرين، وخضوع الأطفال، والزوج، والموظفين، بل وحتى الأصدقاء. وهذه الرغبات ليست بالأمور السيئة، لكن عندما نشتهيها بشدة إلا عندما نطلبها بشدة تصبح أوثانًا في حياتنا، ونبدأ نطلبها من الآخرين. وبدلاً من أن أقول، "أتمني لو كنت أملك"، أجد نفسي أقول، "لا بد أن أمتلك هذا الشيء" وعندما يرفض الآخرون إعطائنا ما نريد عندئذ يبدأ النزاع، أو الصراع.

من الطبيعي أن كل وثن من هذه الأوثان يتطلب ذبيحة، أي تضحية ما. ونحن لا نقطِّع أجزاء هذه الذبيحة بسكين، لأننا نستخدم بدلاً منها ألسنتنا لنجرح ونعاقب الآخرين، (يع3: 1-9). فعندما يفشل الآخرون في إعطائنا ما نريد، فإننا نعاقبهم ونغضب ونبدأ بالتفوه بكلمات جارحة مؤذية للآخرين وأحيانًا نعاقبهم بالصمت. فبالصمت نتجنب الآخرين وندعهم يعرفون أننا نعاقبهم من خلال صمتنا. وعلى أيَّة حال سواء بالصمت، أو بالكلمات، أو بالأفعال، نحن نعاقب الآخرين لعدم تلبيتهم لمطالبنا، مما يزيد من نمو الصراع أو النزاع.

في كو3: 5 يقول "*فَأَمِيتُوا أَعْضَاءَكُمُ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ: الزِّنَا، النَّجَاسَةَ، الْهَوَى، الشَّهْوَةَ الرَّدِيَّةَ، الطَّمَعَ الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ الأَوْثَانِ*". و"**الشهوة الردية** باليونانية "ἐπιθυμίαν κακήν" من فعل أطمع، أشتهي بشدة أو معناها "شهوة أو رغبة مفرطة"، أو رغبة زيادة عن اللزوم. و **في1: 23** يقول "*فَإِنِّي مَحْصُورٌ مِنَ الاثْنَيْنِ، لِيَ **اشْتِهَاءُ*** (ἐπιθυμίαν)*أَنْ أَنْطَلِقَ وَأَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ، ذَاكَ أَفْضَلُ جِدًّا*".

والسؤال هنا هل لدينا الشهوة والرغبة بأن ننجح في المادة الدراسية؟ نعم، هذا شيء طبيعي، لكن ماذا لو كانت لدينا الشهوة المفرطة للنجاح، وما يترتب على ذلك؟ نعم، يؤدي هذا إلى الغرور بالنفس والتباهي والتعالي على الناس، وعدم التواضع، والاعتماد على القوة الشخصية وننسى أننا نخدم الرب وقوته الروحية لنا، ومن ثم لا ننعم بسلام حقيقي داخل قلوبنا لأننا سنواجه الحقد والكره من الآخرين.

في **متى 7: 1-5** يقول "*لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا، لأَنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ، .. وَلِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلاَ تَفْطَنُ لَهَا؟ أَمْ كَيْفَ تَقُولُ لأَخِيكَ: دَعْنِي أُخْرِجِ الْقَذَى مِنْ عَيْنِكَ، وَهَا الْخَشَبَةُ فِي عَيْنِكَ؟ يَامُرَائِي، أَخْرِجْ أَوَّلاً الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ، وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّدًا أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ*!". وفي **غل6: 1** يقول "*أَيُّهَا الإِخْوَةُ، إِنِ انْسَبَقَ إِنْسَانٌ فَأُخِذَ فِي زَلَّةٍ مَا، فَأَصْلِحُوا أَنْتُمُ الرُّوحَانِيِّينَ مِثْلَ هذَا بِرُوحِ الْوَدَاعَةِ، نَاظِرًا إِلَى نَفْسِكَ لِئَلاَّ تُجَرَّبَ أَنْتَ أَيْضًا*".

صنع السلام مسألة قلب

إن صنع السلام مسألة قلب في المقام الأول. إن الخلافات بين الناس سواء كانت خلافات صغيرة بين أفراد العائلة، أو الأصدقاء، أو زملاء العمل، أو كانت خلافات جسيمة مثل الخلافات التي تحدث بين الشركات أو المنظمات الدولية أو الدول المتحاربة، فإن جميعها تبدأ من القلب الذي يشتهي في شيء ما لا يملكه. إن الشهوة، والطمع، والأنانية، الأمور التي تكون كائنة في القلب، تظهر في الصراعات مع الآخرين، وفي المجادلات، والعنف، والقتل. فإن كنا كصانعي سلام نرغب في إيقاف ومنع المجادلات، والعنف، فإنه يلزمنا أن نعالج صميم المشكلة، ألا وهو قلب الإنسان.

في مزمور 139 ، اسأل الله أن يريك نقاط ضعفك. على المؤمن أن يتعلم كيف يسأل نفسه أسئلة تساعد على كشف خطاياه و نقاط ضعفه. وهناك بعض الأسئلة التي تساعدنا على ذلك مثل في يعقوب (4: 1- 4) عندما تكون في صراع ، اسأل: لماذا ؟ ما العيب فيّ، وما السبب في ذلك؟ وأيضًا في يعقوب (1: 19-20) لو كنت غاضباً، اسأل، هل فعلاً الأمر يعنيني إلى هذا الحد؟

أسئلة فاحصة تكشف الحالة الحقيقية للقلب

وهناك أسئلة تساعدنا على فحص الحالة الحقيقية للقلب مثل ما الذي يشغلني علي الدوام؟ وما هو أول شيء يشغل ذهني في الصباح، وما هو آخر شيء يشغلني ليلاً؟ وكيف يمكنني إكمال هذه الجملة التي تقول لو أنني ...، بعدها سأكون سعيدًا، وممتلئًا، وفي أمان. ما الشيء الذي أريد أن احتفظ به أو أتجنبه؟ وأين أضع ثقتي؟ وما الذي أخشاه؟ وعندما لا تتحقق رغبة ما، هل أشعر بالإحباط، أو القلق، أو الاستياء، أو المرارة، أو الغضب، أو الاكتئاب؟ وهل يوجد شيء ما أرغب فيه بدرجة كبيرة لدرجة أنني مستعد لإحباط أو إيذاء الآخرين لكي أحصل عليه؟